

التعدد الديني والتعدد في الدينين الإسلام والليبرالية

دكتور عمار جيدل

جامعة الجزائر- الجزائر.

تُعدُّ الحرية من المبادئ الرئيسية التي تستند إليها النظرة الليبرالية إلى الإنسان؛ فكما أن الحرية مطلوبة في المجال السياسي فهي كذلك وبالدرجة نفسها مطلوبة في المجال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

الحرية الثقافية شرط حيوي وأساسي لأي نهضة سياسية أو اقتصادية، ومن تجليات هذا الرأي الحرية في المجال الديني، ونظرة تقوم على حرية الفرد، لإنسانزله في سائر المقال بما أشرنا إليه في المتن، الغالب: غ، الددولي: د، الوقي: و، الراهن: ر؛ فيكون الرمز (غ.د.و.ر) أسف تربط همتها وكل بصرف النظر عن أثر القرارات الفردية على المجموع العام المعبر عنه بالمجتمع أو الأمة، ستفضي وفق سنن تضارب المصالح والرؤى والتجاذب إلى ضياع الانسجام الموجود بين مكونات المجتمع أو الأمة، وجو هذا شأنه لا بد فيه من غالب ينتهي إليه أمر التوجيه، فهل تكون الغلبة للضعفاء ماليا ومعرفيا وسلطانيا؟

تكون الغلبة لأصحاب الثروة حين مزاوله الحرية -في مثل هذا الجو الليبرالي- بجميع تجلياتها وخاصة في القضايا المفصلية منها، وأخص بالذكر تلك التي لها أثر عظيم على حاضر المجتمع ومستقبله، وذلك باستغلال أو ابتزاز سلطة السياسية وسلطة المعرفة. وعض أن يصنع هذا الجو الحرية القيمة الرئيسية التي قامت عليها ومن أجلها الليبرالية، فإنه سيفضي إلى التأسيس للحرية طريقا للأسر، ومن ثم يضيع حلم التنمية والعدالة ... وخاصة في مجتمعات المستضعفين بصفة عامة، لا فرق بينهم على الإطلاق.

فرض مطلب الحرية في المشروع الليبرالي جعل التعدد الثقافي والديني مقصدا رئيسا تبذل لأجله الأموال والطاقات البشرية والعسكرية، وقد وصل الطريق بأصحابه حد الجبر على الحرية واستعمال القوة الباطشة لفرض التعدد، وتيسي را مرور المشروع تمسكوا بفكرة حماية الأقليات والديمقراطية وحقوق الإنسان ... الخ.

أسس المتغلبون للتعدد في مختلف مجالات الحياة، وجعلوه مطلباً رئيساً من الحرية المنشودة،

## التعدد الديني والتعدد في الدينين الإسلام والليبرالية

وتعدد هذا شأنه ينتهي إلى تغليب مصلحة جهة ما على حساب الجهات الأخرى، لاشك في تأخير مصالح الضعفاء، وتقديم مصالح الأقوياء لأنهم أقوياء لا لشيء آخر، فالغلبة في العصر الليبرالي الجديد للمُهيمن على سوق المعلومة والتجارة والاقتصاد والسلاح، لهذا فالتعدد ينتهي إلى خدمة مصالح الغالب الدولي الوقي الراهن (غ.د.ور).  
1. معايير التعدد في العصر الليبرالي

يختلف معيار التعدد بالنسبة للفريق الليبرالي عن معيار التعدد بالنسبة للأصول الإسلامية الصحيحة، فيرجع بالنسبة للفريق الأول إلى مجموعة من القراءات، منها " صناعة التعدد "، وهو أشبه بالتعدد القصري أو التعدد المصنوع المستغل في الوقت نفسه فكرة التعدد السنني في الدين الإسلامي، مؤسساً أطروحته على التعدد الديني: فكان التعدد في الدين طريقاً للتلبيس على التعدد الديني.

أولاً: التعدد المصنوع للتدين (فهم الدين الإسلامي أنموذجاً)

تؤكد أدبيات الغالب الدولي الوقي الراهن (غ.د.ور) في ترتيبها التاريخي السعي إلى تعدد في التدين الإسلامي، تعدد مصنوع، ظهر بعنوان " إسلام بديل " مقصده الرئيس القضاء على الإسلام الذي يؤطره " المتشددون "، وقد تنوعت سبل تحقيق هذا المقصد، بإيعاز من (غ.د.ور) حيناً وبسكوته أحياناً كثيرة، فظهرت جهود محاولات تسويق القرآن الجديد (المحرف) (الفرقان الحق) الذي تم توزيعه في بعض البلدان الإسلامية، وقد تضمن تحريفاً خارقاً للنصوص القرآنية وتبديلاً للآيات الكريمة بما يتفق وما ترغب مراكز الدراسات المعادية للإسلام والمسلمين الممولة من جهات مشبوهة على الأقل.

وقد كانت المراهنة على أسلوب التحريف في إبعاد " الإسلامية " بصفة عامة لا فرق فيما بين من رمي بالقرب من الأطروحات العلمانية أو رمي بمعاداتها، وقد صرح بتبني هذا الرأي " دانييل بايبس " و " جراهام فولر " في محاضرة ألقاها (بتاريخ 2003/4/3 في المنتدى السياسي الخاص التابع لمعهد واشنطن (فذكر الأول إجابة له عن سؤال طرح بعد أحداث 11 سبتمبر من هو العدو؟ يقول بعد استبعاد احتمالين أولهما أنهم الإرهابيون، وبالتالي لا صلة للإسلام بالأعمال التي اقترفها هؤلاء (إذا سلمنا بالفاعل والتفاصيل المتعلقة بالفعل نفسه)، كما يستبعد في الوقت نفسه الاحتمال الثاني الذي

---

<sup>1</sup> رمزنا له في اللاحق بمختصر الاسم، غ: الغالب، د: الدولي، و: الوقي، ر: الراهن، فيكون الرمز (غ.د.ور).

مؤداه إلحاق التهمة بالإسلام نفسه، ثم ينتقل إلى الإجابة الأفضل عنده وهي : أن العدو هو الإسلامية، وهي تفسير إرهابي للإسلام. إن الإسلامية هي الجذر الاستبدادي للمشكلة، وليس الإرهاب سوى أداة للحرب يستخدمها " الإسلاميون " لتحقيق أهدافهم، وقد يعبر عنه وفق نسقهم بـ " الإسلام الإرهابي ".

ويرى زميله أن الإسلامية كأيدولوجيا أمر واحد لا فرق فيه بين العدالة والتنمية التركي (الذي يعده خصومه ولا سيما حزب السعادة التركي أنه يتماس إلى حدود بعيدة مع التيارات العلمانية) والقاعدة، ولاشك أن هذا الفكر يستهوي التحويل، ورغم هذا يطمح إلى فسخ المجال أمام هذا النمط من الإسلاميين لأنهم لن يعودوا مرة أخرى إلى الحكم إن نجحوا في المرة الأولى، وفي هذا الحكم كثير من المجازفات.

مؤدى هذا العرض التأسيس لبديل يبعد " الإسلامية " من مصاف التوجيه والتربية، أي إبعادهم عن التأطير الاجتماعي، فكان البديل أن يتعامل مع الإسلام بما يقرب من التعامل مع الديانات التي مؤداها " ما لله وما لقصير لقصير "، ولكنه مسعى مستحيل، لهذا انتقلوا إلى المرحلة الموالية.

وبعد فشل محاولات الإقصاء ظهرت محاولات الترويض الداخلي، فطلت فكرة " الإسلام الإصلاحي " (الإسلام البروتستنتي)، فكان منها إمامة " أمينة ودود " (أستاذة الدراسات الإسلامية بجامعة فيرجينيا الأمريكية) التي أمت المصلين وخطبت فيهم في صلاة الجمعة بإحدى الكنائس الأنجليكانية بنيويورك بعد أن رفضت المساجد استضافتها، وكانت الصلاة مختلطة بين الرجال والنساء في صف واحد (كما نقلتها الوكالات) وفي السياق نفسه عملا على تحقيق إسلام " مُرَوَّض " ظهرت فكرة تشجيع " التفسير النسوي للإسلام " بديلا عن " التفسير الرجالي للإسلام "، وقد كان الغرض من هذا المسعى بيان الموقع المتقدم للنساء في الإسلام، وكان في مقدمة الداعين إليها " اتحاد المسلمين التقدميين " وهي إحدى الحركات الإسلامية الأمريكية، ويذكر المناوئون أن القائمين على توجيهها شخصيات مشبوهة. وولد التفكير في إسلام بديل من رحم الصراعات الأنفة الذكر وما شابهها، سماه (غ.د.و.ر)

" الإسلام المعتدل " أو " الإسلام المحايد " بحسب رأي المناوئين، إلا أن الحسم في طبيعة " الإسلام المعتدل " يفرض تمييزه عن " الإسلام الفاشي " (بحسب رأي بوش الصغير) وهذا الأمر ليس سهلا، ذلك أنه رغم الاتفاق على رفض " الإسلام المتشدد " وهو الذي

## التعدد الديني والتعدد في الدينين الإسلام والليبرالية

يستعمل القهر للوصول إلى السلطة أو البقاء فيها، وبعبارة ساسة (غ.د.ور) الحركات الإسلامية المتطرفة التي تتبنى العنف في التغيير السياسي، وبالتحديد الجماعات المرتبطة بالقاعدة بحسب تقديرها، يقرب من هذا الرأي قول ادوارد جرجيان الذي يقدم في خطابه 1991 م أول رؤية أمريكية مباشرة حول الإسلام السياسي، فيرى أن معركة الولايات المتحدة هي مع التطرف والتعصب والعنف والتهديد والإرهاب.

يمثل البحث عن ماهية " الإسلام البديل " وهو " الإسلام المعتدل " مشكلة معرفية حقيقية، فمن ناحية من له الحق في الحكم على التوجه الفلاني أنه معتدل ؟ هل يرجع إلى التنغم الداخلي بين الاجتهادات في الإسلام مع الإسلام نفسه في نصوصه ؟ أم يعود إلى معايير من خارج النسق المعرفي الذي يؤطر الاجتهادات، معايير تنتهي إلى ضبط البديل من خارج نسقه الفكري والتصوري، ولهذا خلص الباحث ساتلوف بعد تحليل مختلف الآراء والخطابات والتصريحات المتعددة إلى أنه لا توجد سياسة أمريكية تجاه " الإسلام السياسي "، إنما تجاه الدول والمؤسسات والمصالح.

رغم إقرار ساتلوف بوضع " المصالح الأمريكية " معيارا رئيسا في الحكم بالاعتدال، فإنه يرى أن الحركات الإسلامية تمثل في مجموعها العام مصدر تهديد لهذه المصالح لأنهم -أي الإسلاميون- إن اختلفوا في الوسائل والغايات فإنهم يتفقون في هدف قيام الدولة الإسلامية، ويقرب من هذا التحليل ما انتهى إليه بليترو حين رأى بأن تعامل أمريكا مع حركات " الإسلام السياسي " يجب أن يتم في سياقات مختلفة حسب تأثيرها على الولايات المتحدة، كقضايا : عملية السلام، ومحاربة الإرهاب، وتشجيع الأسواق المفتوحة، واحترام حقوق الإنسان، ويصنف ساتلوف الدول المتسامحة مع المدارس الدينية ضمن التيار الخارج عن الاعتدال الأقل.

وقد أوضح هنتجتون في ندوة عقدت بدبي: ماهية " الإسلام المعتدل " حين أكد أننا أمام أحد اختياريين " لا بد من الاختيار بين القاعدة ودبي "، فيؤكد أن تنظيم القاعدة تنظيم إرهابي، بينما تمثل دبي مركزا متطورا للتكنولوجيا المتقدمة، وأن " العالم العربي يمكن أن يتطور من دون فقدان قيمه التقليدية "، وتصريحات أو بحوث تؤكد هذا الرأي تبث إشارات خاطئة مفادها استعداد " المعتدلين " وفق تصور (غ.د.ور) للتفريط بقيمهم الدينية.

انتهى هذا الرأي إلى تبني " الإسلام المعتدل " الإسلام الذي بمقدورهم ترويضه ودفعه إلى أن تكون مواقفه شبه محايدة في قضايا الصراع -إلى حد ما-، وتحقيقا لمسعى الترويض

جاءت ضغوط تغيير برامج مؤسسات صناعة الوعي؛ فظهر الضغط من أجل تغيير برامج المدارس والخطاب المسجدي والإعلامي المرئي والمسموع، وشاعت فكرة الرمي بمعاداة السامية تمكينا للترويض.

ويطلعون علينا من مصادر مختلفة ومتنوعة باختبارات نجاح الترويض (اختبار قياس تغيير الإرادة)، فيقيسونه بالأعمال حيناً " الرسومات المسيئة "، والتصريحات حيناً آخر " الحروب المقدسة "، و" الإسلام الفاشي "، وآخرها تصريحات البابا المسيئة لمركزه من جهة والمسلمين من جهة أخرى، وقد بينت امتحانات الإرادة أن عمليات الترويض لم تؤت أكلها مثلما كان منتظرا، بل جعلت كثيرا من مَنْ كان يعدهم (غ.د.و.ر)، ضمن النواة الفاعلة (وهي القوى التي يعول عليها في الصراع نيابة عنه) أقرب إلى الانضمام إلى النواة غير القابلة للاندماج (القوى المناوئة) في مشروع (غ.د.و.ر). وقد كانت محاولات قياس الإرادة سببا مباشرا في جعل " الإسلام البديل " " الإسلام المعتدل " وفق تصور (غ.د.و.ر)، بعيد المنال.

تأسست فكرة التعدد القصري المصنوع المستفاد من تجربة الإقصاء إلى الترويض من رحم التعدد وفق النسق اللبرالي، وبالتالي أصبحت القوة وسيلة أساسية لإقصاء أو إرهاب الخصوم حتى في خصوصياتهم، فأصبح الرمي بالإرهاب فزاعة للتخويف من أجل تمرير التعدد القصري، لأن رفضه يجعل المتهم به فضلا عن القائل به مصنفا في خانة أعداء الحرية والتعدد والرأي المخالف، فلا مفر له من التحول إلى داعية استبداد.

وفي السياق اللبرالي استعمل (غ.د.و.ر)، الابتزاز بالتخويف من الإسلام السياسي (إما أن تطبقوا الوصفة أو نطلق أيدي الإسلام السياسي عليكم) وقد استعمل الابتزاز في كثير من التصريحات السياسية، فذكر بعض مسؤولي السلطة التنفيذية في حكومة (غ.د.و.ر)، -حين أرادت ابتزاز بعض السلط السياسية- فكرة غياب الديمقراطية والاستبداد السياسي .. ولكن الإدارة نفسها سكتت عن تلك الممارسات عمليا، مما يؤكد أنها تستعمل للابتزاز السياسي ليس إلا، ولا يَبْعُدُ أنها تستعمل ذات الأسلوب مع المناوئين لتلك السلط.

الأمثل بالنسبة لـ (غ.د.و.ر)، أن يتغلب التيار اللبرالي وفق النسخة المختارة، فيتولى أمر الدولة، وتسهل عملية الترويض، ولكن حضوره (المسلك اللبرالي المحلي) في الشارع يؤول إلى الصفر، أي لا يكاد يكون له صوت، وبالتالي لا مستقبل منظور له في العالم

## التعدد الديني والتعدد في الدينين الإسلام والليبرالية

العربي والإسلامي، ولغيابه تسعى (و.م.أ) إلى تشجيع الهيمنة الليبرالية على تفسير الإسلام إذ تبرز أمام دوائر التفكير وصنع القرار في واشنطن المعادلة التاريخية التي تعمل (و.م.أ) على تسويقها: " إما الخضوع لإرادتنا السياسية ومصالحنا أو الإسلام السياسي " 2. في ظل مشاهد من الابتزاز المتعدد يحزر (غ. و. د. ر) مساحة للخوف أو التخويف على الأقل، وهو جو مثالي لتمير الأُمالي الليبرالية. وفي مثل هذا المحيط تمرر المشاريع، فتقبل السلط وغيرها ممن رضي بالسير في هذا المسلك الأُمالي الليبرالية في التربية والثقافة والسياسة فضلا عن التوجهات الاقتصادية الآتية والمستقبلية. استغلّت هذه الظروف لتفتيت أو تكاثر المؤسسات السياسية والاجتماعية المعبرة عن ألام الأمة وأمالها، فتعرضت تلك المجموعات للتكاثر (التناسل) باستمرار (كل حركة مرشحة للتكاثر السنني) ورغم محاولات إجهاض التكاثر السنني (يفرضه تطور المستوى العلمي للأتباع، رؤية مخالفة، إستراتيجية مغايرة ...) في كثير من المؤسسات المشار إليها أعلاه، نجح التكاثر في كثير من الأحيان بتشجيع الغالب الوقي سواء كان دوليا أو محليا، وقد ساهم (غ.د.و.ر) أحيانا في إجهاض كثير من تجارب تكاثر حان وقته، لعدم مواكبته رغبته، ولاشك أن لل منع أو الإجهاض صلة بخدمة المشروع الليبرالي وفق النسخة التي يريد (غ.د.و.ر) أو سدنته 3.

يظهر مما سلف بيانه أنه لا صلة للتعدد المصنوع أو التعدد المجهض صلة بالتعدد السنني الذي عرفه المسلمون في تاريخهم الاجتماعي او تجارب تدينهم، ورغم مخالفته البيئة للتعدد المشار إليه، فقد حاول استثماره في بث " وعي طائفي " يبعد " الوعي الرسالي "، حتى يغدو التعدد السنني الذي كان سننيا في حياة المسلمين وتجربتهم التاريخية أساس مشكلة تضييع الرسالة، حتى غدا لتأليب المسلمين على بعضهم البعض بعناوين مختلفة سوقا رائجة في العصر الليبرالي، عصر يُؤتم الإنكار على التعصّب ويُمجّد التحريض على القطيعة بين المسلمين.

<sup>2</sup>. يتعين لدفع الابتزاز المضاعف الذي يمارسه (غ.د.و.ر) على البدائل المتصارعة (السلطة والمعارضة) وتوظيفه لإحداث حيوية حقيقية في المشهد السياسي والاجتماعي والاقتصادي، أن يقدم جميع الفاعلين السياسيين ضمانات حقيقة للأخر، تسترعي الابتعاد عن تأييم الاجتهاد والعمل على إحداث حيوية حقيقية في المشهد بما ييسر رفع الحرج عن السلطة السياسية في كثير من القضايا المصرية، ولا سيما المتعلقة منها بمستقبل الأمة والمجتمع.

<sup>3</sup>. انظر الحقائق العدد الأول أكتوبر 2006، ملف "الإسلام البديل"، إعداد عمار جيدل.

ثانيا : المضاعفات الثانوية للتعدد المصنوع

يعلم لدى العقلاء قاطبة أن التعدد المصنوع لا يمكن أن يفضي إلى ردم هوة الاختلاف، بل قد يكون سببا في اتساعها، والتعدد وفق السياق اللبرالي واضح من أدواته وما يتوسّل به من مسوّغات " علمية وفلسفية " يريد توليد تعدد وإن لم يكن متوافقا مع أصل الإسلام في نصوصه ولغة فهمه ومقاصده، و بيانا لهذه المسألة نتوقّف عند مختلف صور التعدد في السياق اللبرالي.

التعدد الديني في السياق اللبرالي 4

تعددت وجوه الحديث عن التعدد في السياق اللبرالي الحديث، فقد تجلّى في مجموع مسالك الدنيا وشعاب الحياة، فوصل تدخله التأسيس للتعدد الديني رغبة منه إلى جعل التعدد حقيقة " موضوعية "

وعندما أعيته الحجة جعله حقيقة " اجتماعية " لا يمكن أن ينكر فيها فريق على آخر فضلا عن أن يستدرك عليه، وهو جو مثالي لتبرير التعدد في التدين عند المسلمين واستغلاله لتأسيس تدين جديد يتجاوز التدين " التقليدي " القائم على التمييز الصارم للقيم المؤسسة للهوية المشتركة للمسلمين على تنوع مشاربهم المذهبية<sup>5</sup>، وهو سعي إلى تفجير جو التعدد في التدين الإسلامي بإشاعة الفوضى (الخلافة) تأسيسا لقبول تعدد الأديان، وقد بنوا قبول التعدد في مجال الأديان على مسوغات كثيرة منها :

1- التعددية الدينية القائمة على سؤال الحقيقة

يميل بعض الباحثين إلى القول بأنّ الحقيقة الدينية يمكن أن توجد في الأديان كلها وبدرجة امتداد أو سعة لا تقل عن وجودها في هذا الدين أو ذاك، رغم إقرارهم بتقاطع الأديان مع بعضها حول فهم الحقيقة وفكرة الخلاص، والحلال والحرام والخطأ والصواب، وحول التاريخ والطبيعة الإنسانية ... وكل ذلك يؤكّد حسب رأيهم نسبية

<sup>4</sup> . انظر كتابنا حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني/ دار الحامد، عمان الأردن 2003.

<sup>5</sup> . الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقضاء خيره وشره، وأن يكونوا من أهل الصلاة والزكاة والصوم أو لحج إن استطاع إليه سبيلا، يصدق بالأول قاطعا به ويقوم بالثاني عن طيب خاطر في خضوع وخشوع.

## التعدد الديني والتعدد في الدينين الإسلام والبرالية

الحقيقة الدينية 6، وقد عبّر عما يشبه هذه الفكرة بعنوان " الصراطات المستقيمة " 7.

تعدد الطرق المفضية إلى نيل الحقيقة، مع ملاحظة استعمال صاحب فكرة " الصراطات المستقيمة " في سياق تصفية الحسابات الفكرية مع المناوئين السياسيين، فكانت المعرفة وسيلة لإقصاء المخالفين من التأطير الاجتماعي من خلال رفض فكرة الحسم الآتي في مسألة الحقيقة الدينية 8، ومع رفض الحسم الآتي يرجع صاحب الفكرة الحل والحسم إلى آخر الزمان من خلال التركيز على التراكم المعرفي النهائي ودوره في حل إشكالية المعرفة الدينية النسبية آنياً أو في الحال، وقبول هذا الرأي أو التبشير به إسعاف للبرالية أو تزويدها بقارب نجاة من الأزمة التي وجدت نفسها فيها، فكانت تنتظر بعث حيوية للارتقاء في أحضانها حين تبشيرها بالحرية القيمة المركزية لها، ولكنها وجدت نفسها تؤسس للأسر بعنوان الحرية، فابتعد الناس عن هذا المسلك، فالقول بالتعدد " الموضوعي " للحقيقة الدينية، لا يجند الناس بل يدفعهم إلى مناوئة الفكر القائم على القول بنسبية المعرفة المؤسسة على نسبية الحقيقة الدينية.

### 2- التعددية الدينية تعبيراً عن تنوع تجارب التدين واختلافها

جوهر الدين حسب تقديرهم يلتصق بالتجربة الدينية الشخصية أكثر من التصاقه بمبدأ دوغماتي ثابت أو قانون كهنوتي محدد، أو طقس شعائري اجتماعي بعينه، ومبنى هذا الرأي الشك حيال التأمّلات العقلية في الماورائيات، الرغبة في الانجذاب إلى المبادئ السياسية المعاصرة (حقوق الإنسان، الديمقراطية) وما يترتب عليها من إصلاحات اجتماعية 9، قبول هذا التحليل البرالي لا يسمح بتجنيد المتدينين في خدمة دينهم فضلاً عن خدمة الإنسانية، هذا إن لم يكن مشككاً في نوايا أصحاب هذه الأطروحة، وقد ينتهي إلى تبني دفع المشاريع بالمقاومة الفكرية على الأقل.

### 3- التعددية الدينية الأخلاقية

<sup>6</sup>. رأي جون هيك John Hick، انظر الإسلام والتعددية الدينية، لكيهاوزن M.LEGENHAUSEN ترجمة مختار الأسدي ص 45.

<sup>7</sup>. صاحب الفكرة هو الإيراني عبد الكريم شروس، يظهر التأسيس المعرفي للفكرة في كتابه " القبض والبسط في الشريعة الإسلامية ".

<sup>8</sup>. أي بنسبية المواقف والشروح الآنية، ولاندري كيف يكون من تراكم النسبيات خلوصاً إلى اليقين.

<sup>9</sup>. فكرة فردريك شلايرماخر (1768م) Friedrich Schleiermacher، انظر المرجع نفسه ص 25.

تتأسس التعددية الدينية الأخلاقية على تعدد الواجبات الأخلاقية وتمييزها بين جيل وآخر وهذا لا يناقض الحقيقة الإسلامية، بل هو المعبر عنه صراحة في النصوص الإسلامية، وخاصة بين الديانات التي قبل الإسلام، " ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا " (المائدة 48)، مع ملاحظة خاتمية هذا الدين، تلك الخاتمية الشاملة لكل الجوانب في كلياتها، إن جاوزنا هذا الطرح وقبلنا بالتعددية المؤسسة على التعددية الأخلاقية وفق النسق الليبرالي فإننا نحرم أنفسنا والإنسانية من إمكان استثمار الدين ولاسيما الإسلامي في الخير الإنساني العام.

#### 4- التعددية الدينية تعبيراً عن الليبرالية السياسية والاقتصادية

التعددية الدينية هي حصاد محاولات جادة لتجهيز الفكر الديني بقاعدة أساسية للتسامح مع الأديان المخالفة لأنها تنطوي بأجمعها على نوع من الحقيقة الدينية، بالإضافة إلى ذلك فإن التعددية الدينية المخففة أو المتسامحة أو المختزلة تضم إضافة إلى ما ذكر من تأكيدات، الخلاص الذي يمكن تحقيقه من خلال الحقيقة العامة أو المشتركة المتوفرة في جميع الأديان، والتي تجعل جميع نقاط الاختلاف بينها نسبية، كما أن الطبيعة المتسامحة للثيولوجية الليبرالية ومنهجها المتصل مع التعددية الدينية قد يؤسس لإسلام أمر الدين والتدين لغير المتدينين<sup>10</sup>، فيقع سلطان الكلمة في الدين في يد السياسي الليبرالي، نظراً لهيمنة الليبرالية على كل شؤون الحياة الثقافية والفكرية والسياسية، ومبنى هذه الفكرة تكريس نسبية الحقيقة الدينية المؤسسة على نسبية المعرفة، المفصي في آخر خلاصة له إلى إلجام المتدينين عن الحديث في الدين، فضلاً عن المحاججة عنه.

#### مضاعفات التعدد

1- التعددية الدينية تساهم اليوم في تقديم العون للهيمنة الليبرالية بتزويدها بتهيئة نفوس المتدينين لقبول الاستخفاف حتى في أخص شؤونهم، إذ تستطيع الأخيرة من خلالها شن هجومها على السلطة الدينية، فالسلطة الدينية تركز على المعرفة الدينية لا سيما تلك المتعلقة بالأوامر الإلهية وعلى أرضية دعاوى معرفة هذه الأوامر وزعم المؤسسات الدينية احتكار المعرفة الدينية لها، وبالتالي فإن من حقها وحدها إدعاء

<sup>10</sup>. انظر المرجع السابق ص 15، انظر مجلة المنطلق الجديد، العدد الثالث، صيف-خريف 2001، ندوة التعددية الدينية، التعددية الدينية: سر التنوع والاختلاف، مناظرة بين الدكتور عبد الكريم سروش، والشيخ محسن كديور 119-184، وانظر أيضاً التعددية الدينية: كثرة في مقابل الوحدة ام كثرة في الوحدة، علي رباني كلبايكاني، ترجمة علي الحاج حسن، 185-204.

## التعدد الديني والتعدد في الدينين الإسلام والليبرالية

الترويج لها وتمثيلها على أرض الواقع، الليبرالية من جانبها تنكر حق السلطة الدينية هذا على أرضية الحريات الفردية للناس وكذلك على ضوء معتقداتهم الدينية الخاصة وانطلاقاً من شعار وليعمل كلّ على شاكلته. أو على كل طائفة دينية أن تعمل على شاكلتها.

2- يزعم دعاة التعددية الدينية أن الحقيقة الدينية يمكن العثور عليها في إطار قيم وتقاليد دينية متباينة، ومن هنا، فليس هناك مؤسسة محددة يمكنها احتكار إدعاء المعرفة الدينية المطلقة. أو احتكار الفهم الديني الذي يخولها الانفراد بالسلطة، وهذا يعني أن السلطة الدينية ستقع غيابياً (أي بدون مرافعة) في أيدي الدولة الليبرالية...<sup>11</sup>.  
مميّزات هذا التأسيس :

1- ليس للدين حقيقة مستقلة واضحة جلية، وبالتالي ليس بمقدوره تحقيق مقاصد وأهداف معرفية ذات أثر اجتماعي وثقافي وحضاري.  
أ - إقحامه في دائرة التعددية المختزلة.

ب- جعل التعددية الدينية تعددية شكية، ستفضي إن مُكّن لها إلى التشكيك في الدين من خلال التشكيك فيما يتوسّل به إلى فهم نص الدين.

ج- تكريس عدم الاستقلال المعرفي للحقيقة الدينية، بمعنى منع تحريرها من أن تكون تابعة للذوات المدركة، فتصبح حقيقة الدين متعدّدة عوض أن تكون واحدة مستقلة عن البشر وضعاً ومضموناً، لأنها إن كانت كذلك ساهمت في رفع مستوى الأداء الاجتماعي والمعرفي للبشر، ذلك أنّها تضع لهم أهدافاً يسعون إليها سعياً حثيثاً، كلما ساروا نحوها قدما ازدادوا إليها شوقاً، وبزيادة الشوق يرتفع مستوى الخدمة الاجتماعية والحضارية والثقافية، وفي ذات الوقت يحررون تلك الحقيقة الدينية من عبث البشر على تنوع طبقاتهم الاجتماعية (علمية، مالية، سياسية،...).

د- تيسير التوظيف المعرفي للدين في السياق الليبرالي، إذ التشكيك في نص الدين يفضي إلى التشكيك في دلالات عباراته، وبالتالي نكزّس الظنية المطلقة في صحة الدين، من هنا يزعج حق علماء الدين في شرح الدين، أي يرفض قولهم في صميم تخصصاتهم، بحجة ظنيته، وهذا يقع التوجيه في ميدان الدين نفسه في أيدي غير المتدينين، وعلى الخصوص الليبراليين.

<sup>11</sup>. انظر ليكهاوزن 23، 2.

2- جعل الأساس الإيماني والعقدي فاقدا للقدرة على تحريك الأتباع، وذلك لتدخل البشر فيه بالزيادة والنقصان، وفي ذلك أيسر أساليب منع فعالية الدين في صناعة الوعي والتواصل، وفي ذلك أكبر خسارة للإنسانية جمعاء، بدءا من أهل الدين نفسه، وانتهاء بالراغبين في التواصل معهم، ولهذا حدّد الإسلام في نصوص الصريحة حقيقة التعدد المخالفة للمسلك اللبرالي الذي يرغب في صناعة تعدد رغما عن أهل الدين أنفسهم، وخاصة في الوسط الإسلامي، ويتعين في هذا المقام بيان التعدد وفق ما ورد في نصوص الدين الإسلامي.

ثالثا : حقيقة التعدد الديني في الإسلام ومميزاته

يفرض بيان الموقف من التعدد الديني المصنوع كما يريد المسلك اللبرالي التأكيد على مجموع مميزات التعدد الديني وفق الدين الإسلامي في نصوصه القطعية في ثبوتها البيئية في دلالتها.

#### 1- الأساس العقدي للأديان

العقيدة الإيمانية التي جاءت بها الأديان واحدة وهي التركيز على عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد، وهي الرسالة التي أكد نسبتها القرآن الكريم لحملة الرسالات من لدن آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. هذه العقيدة وإن كانت من مشمولات العقل في أصل التوجّه للافتتاح، فإنها قلبية بالنظر إلى انتظار الثمار وترجمتها في موقف اجتماعي، ويُعد هذا القول تأسيسا لقضايا مهمة :

أ- إبعاد القلب من أصل التوجّه لإقامة الحجة، إخراج للعقيدة من دائرة الإدعاء إلى رحاب التمحيص والنقد والمقارنة، أي المسألة ليست ذاتية بحيث تقوّمها ذات الباحث فيما يراه " جورج " حقا هو حق وما رآه " توني " غير ذلك فهو كذلك، كما أنّها ليست شخصية من حيث إقامة الحجة على صحتها وتحقيق ثمرتها الاجتماعية، كما يُراد تصويرها، بل هي مؤسسة على الحجة، وما أسس على غير ذلك فهو مرفوض إسلاميا قبل أن يكون مرفوضا منهجيا وأكاديميا، لأنّ الحجة أمّ الاعتقاد في الوضع العام بالنسبة للمسلمين قاطبة.

ب- جعل العقيدة من مشمولات العقل ومنتجاته، فحسب، سعي لتكريس الوحدة في التصورات، وهو مسعى جميل ولاشك، ولكن سيكون بموجب هذا الفكر لكل فرد تصوّره الخاص المختلف عن الآخرين، وخاصة في أصول العقائد، لأنّ تعميم تلك القاعدة، يكرّس الفرقة في نص (الكتاب والسنة) الأصل فيه تحقيق الوحدة على

## التعدد الديني والتعدد في الدينين الإسلام والليبرالية

المستوى النظري على الأقل، فهل يمكن أن نَبْلُغَ الوحدة بطريق الفُرْقَة المُسَجَّلَة كحقيقة موضوعية بسبب اختلاف المستويات الثقافية والاستعدادات الفطرية للتلقين ؟ لهذا مفر من الإقرار بوجود نص مستقل عن البشر وضعاً وبقاء وانتشاراً.

ج- جعل القلب مهما في جني ثمار الدين، إخراج للدين أو الإيمان من دائرة العقلانية الصرف إلى دائرة أرحب، دائرة الإنسان بمختلف مكوّناته النفسية والعقلية، المادية والروحية.

د - الدين الإسلامي بَعْدَ معقوليته يُعَدُّ أيسر الأديان على الفهم، الإسلام يرفض الانشطارية في التعامل مع الإنسان، فهو روح ومادة، عقل وقلب، فرد ومجتمع، ... فليس فيه تغليب لشأن على شأن ولا لوضع على وضع.

### 2- استيعاب الأنبياء في الإسلام

تعدد الأنبياء من تعدد الأديان في شمولها وفق بعض التصوّرات (الاختلاف في العقائد، وغيرها)، واختلاف في مجال الشرائع وفق النصوص الصريحة من القرآن والسنة المطهرة.

### 3- التعدد الديني وفق نصوص القرآن والسنة المطهرة

اتفقت كلمة الأنبياء المنقولة بالنقل الصحيح الصريح على أنهم على قسط مشترك من المعتقدات عبّروا عنها باسم " الإسلام "، وهو الدين الذي انتسب إليه جميع أتباع الأنبياء، عبّر عن هذا نوح (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام)، فقال لقومه " أمرت أن أكون من المسلمين " (يونس الآية 72)، ويعقوب (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) يوصي بنيه " فلا تموتن إلا وأنتم مسلمين " (البقرة 132) وموسى (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) يقول لقومه : " يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين " (يونس الآية 84)، والحواريون يقولون لعيسى (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام)

" آمننا بالله واشهد بأنا مسلمون " (آل عمران 52).

وهذا يظهر جليا استيعاب الإسلام لجميع الأنبياء لانفاق كلمتهم على تبني قسط مشترك يتجلى في مجموعة من المبادئ.

### مبادئ الدين المشترك

1- التوجّه إلى الله رب العالمين في خضوع خالص لا يشوبه شرك.

2- أن يكون الإيمان واثقا مطمئنا بكل ما جاء من عند الله على أي لسان وفي أي زمان أو مكان.

مميزات هذا التعدد

1- تعدد باعتبار الشريعة لا باعتبار العقيدة، قال تعالى: " لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا " (المائدة 48).

2- التوافق على مستوى المشترك في العقيدة، قال تعالى: " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه " (الشورى الآية 13).

3- الاعتراف بجميع الأنبياء وكتبهم: جعل الدين الخاتم من ركاتره، الإيمان بجميع الأنبياء، وقد اتفقت على ذلك كلمة جميع المسلمين على تنوع مشاربهم، إذ نصت كتب السنة عندهم على أن الإيمان يتركب من أركان منها الإيمان بجميع الأنبياء 12، لهذا لا ينتهك الإسلام ولا ينسف الحقائق الخاصة بالأديان السماوية السابقة وإنما يؤكدها، نعم الذي يفتته الإسلام أو يبعثره هو الكاذب أو المزيف في الأديان الأخرى، أي الكاذب بسبب الانحطاط والانحراف، أو بسبب المحدوديات أو المحددات المؤقتة للشريعة " 13.

4- يفرض الإسلام التسامح مع المذاهب المختلفة الأخرى ولكن في الوقت نفسه يؤكد حرصه على طريقته الخاصة كما نزلت أو شخّصت من قبل الله، وبالتالي يتجاوز فكرة عدم أهمية تحديد المنهج الأقوم، بحجة أن جميع المناهج منزلة من السماء، كما يتجاوز أيضا أن جميع الأديان إنما هي مجرد استجابات إنسانية للمقدس 14.

5- علاج الإسلام لمشكلة التسامح لا يكمن في قبول الناس كما هم عليه في الواقع، بل يطلب منهم تحرير إراداتهم ورغباتهم من أجل البرهنة على صحة المعتقد، ثم الخضوع بعد البيان الشافي، هذا الخضوع ليس استسلاما للمسلمين بل خضوع للإرادة الإلهية المعبر عنها في آخر كتاب منزل، إنه إسلام الوجه لله خالق الجميع رازق الجميع، وهذا ليس من قبيل التعالي أو التكبر بل من قبيل الرغبة في هداية الناس إلى طريق الصواب.

4- المسلمون والأديان المخالفة

تاريخ المسلمين حافل باحترام الأديان والتعايش السلمي مع أهل الأديان، فقد كانت بلاد المسلمين على مرّ تاريخ الإنسانية ملاذ الفارين من القتل والتعصّب، وأكبر شاهد على ذلك موقع النصرارى في بلاد الشام ومصر والأندلس، وغيرها من بلاد المسلمين.

<sup>12</sup>. الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله والقضاء والقدر خيره وشره، انظر لتأكيد الفكرة، كتب العقائد الإسلامية على مختلف المشارب، التجريد للطوسي، بهجة الأنوار للسالمي، المواقف للإيجي.

<sup>13</sup>. ليكنهاوزن 174 -مرجع سابق-.

<sup>14</sup>. انظر ليكنهاوزن 170.

5- احتفاء المسلمين بالأنبياء

تدل الأسماء المتداولة بين المسلمين على تنوع مشاربهم على تبني خيار الاعتراف العملي بالأنبياء جميعا، استجابة لأمر ربهم في كتابه الكريم، وما جاء به النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، فنجد فيهم أسماء الأنبياء متداولة، آدم، نوح، إبراهيم، صالح، أيوب، والباس، هارون، سليمان، يعقوب، موسى، عيسى، زيادة إلى محمد وأحمد، فهل يوجد في غيرها من الأديان الاحتفاء بالأنبياء على الأقل على مستوى التسمية؟

الواضح أنه ليس في البشر من يهتم بها كاهتمام المسلمين.

ويؤكد ذلك أسماء القبائل والمدن، فمهما مثلا أولاد موسى، أولاد عيسى، سيدي موسى، سيدي عيسى، أولاد إبراهيم، سيدي إبراهيم، أولاد سليمان، سيدي سليمان، سيدي يعقوب، بني هارون، ... وهكذا دواليك، فما من بلد من بلاد المسلمين إلا وفيها لهذه الأسماء أثر.

ولهذه التسميات دلالة عميقة تبين المكانة التي يحتلها الأنبياء في وعي المسلمين، إذ يؤكدون بها أنّ الإيمان بهم جزء من الإيمان الذي لا تبرأ الذمة الشرعية إلا بالإيمان به، وهو ما يجعل الإسلام مالكا لمؤهلات التواصل مع المخالفين في الملة.

6- مؤهلات الإسلام

المؤهلات في هذا السياق يراد بها، عناصر القوة النظرية الذاتية المستقاة من النصوص الشرعية، وزدها وضوحا وجلالاً وثناء التجربة التاريخية، فقد مثلها المسلمون عبر تاريخهم الفكري، أحسن تمثيل، رغم ما شاب تلك التجربة من نقائص لا تذكر أمام القاعدة العامة المستفادة من تلك التجربة.

الخلفية النظرية تجعل الإسلام مؤسسا للحوار بين الأديان والحضارات، ولا شك أن العناصر لا تتلخص في الجوانب المعرفية فحسب، بل تتجاوز ذلك لتشمل كل مكونات الحضارة، فتندسج على الميادين المعبرة عن الخلفية الفكرية بالدرجة نفسها التي تندسج على المجالات الاجتماعية والاقتصادية والحضارية، وهو ما تؤكد التجربة التاريخية الإسلامية عبر التاريخ، وهكذا يكون تحليلنا منصبا على مجموع تلك العناصر في إطار نظرة شمولية متوازنة، تتوخى تلك المزايا في أصل التوجه إلى الاختيار وإنفاذه في الحياة المعيشة.

أ- الخلفية العقدية والفكرية : العقيدة الإسلامية في جانبها النظري، أساس تحريك المسلم وتجنيد اجتماعيا، فهي التي تسمح بتجنيد أصحابها في سلك الهم الاجتماعي المؤسس على رؤية حضارية معينة. ذلك أنّ فاعلية الفكرة ترجع أساسا -بعد صدقها من حيث هي- إلى قدرتها على تجنيد الناس. ودعوتهم إلى الانخراط في سلك التغيير الاجتماعي ثم المساهمة في التغيير، ذلك أن تلك العقيدة لا تزال حية فينا 15، وذلك لما تملكه من تصوّر متميّز عن الحياة والإنسان " وفي مدرستي العقائدية ... الإنسان هو المخلوق الوحيد من بين كل مظاهر الوجود الذي يملك أربع خصائص ممتازة ... وهي الوعي والإرادة والحرية والاختيار والقدرة على الاختيار والمثل والخلافة " 16.

هذه الخصائص بقدر ما تمنحه السيطرة والقدرة على الطبيعة تجعله مسئولا أمام هذه الإرادة الواعية الخلافة المطلعة والمافوق إنسانية، أي الشعور الذي تنبعث منه معجزة الحركة والنظام والحياة "، وهذا يفرض " إعادة النظر في رؤيتنا وفهمنا الديني، والعودة إلى الإسلام الحقيقي، والوقوف على الروح الحقيقي للإسلام الأول " 17، الإسلام الذي يدعو أتباعه من منطلق وجودي واقعي إلى الارتفاع بالواقع إلى مستوى المسؤولية الاجتماعية التي يفرضها الدين الحقيقي غير الممسوخ، ومركز تلك المحركات التوحيد.

التوحيد : التوحيد مركز العبادة في الإسلام ومحرك فعالية المسلم في الحياة بجميع مكوناتها، ولهذا التوحيد تجليات ثلاث، أولها صلة الإنسان بربه، وثانيها صلة الإنسان بسائر البشر، ثالثها صلة الإنسان بسائر المخلوقات الكونية.

\*- صلة الإنسان بربه : قوام التوحيد في جانبه الإلهي، وصف الله بجميع صفات الكمال وتنزيهه عن جميع صفات النقص، لهذا فصلة الإنسان بربه هي صلة عبادة وتعظيم وإجلال وخضوع لما شرع، وبهذا التميّز من جهة الصفات والأفعال، كمال إلهي يقابله نقص بشري، قوة إلهية يقابلها ضعف بشري، وغنى الله يقابله فقر البشر إلى خالقهم، وقد عبّرت الألفاظ القرآنية عن تلك المعاني بأبلغ تعبير، " الله أكبر " تفيد

15. العودة إلى الذات - الدكتور علي شريعتي 51.

16. العودة إلى الذات 363.

17. الإمامة والأمة - الدكتور علي شريعتي 9.

## التعدد الديني والتعدد في الدينين الإسلام واللبرالية

صيغ الكمال المطلق وتعبير عن الحاجة البشرية المطلقة لخالقهم، لأنّه أكبر من جميع الوجوه 18.

\*- التوحيد في جانبه البشري : يؤسس التوحيد فكرة وحدة البشر من حيث مادة خلقهم وعناصر توأدهم وبقائهم ووحدة مصيرهم، فلإنسان فعل من أفعال الله، خلق جميع أفرادها من مادة واحدة (تراب) جعل تخلّقهم على نسق واحد (التناسل)، ويصيرون إلى مصير واحد (الموت)، وهو ما يؤسس لصون كرامة الإنسان في جميع أحواله، ذلك أنّها نظرة مبنية على جوهر الإنسان.

" أيها الإنسان إنّ من دساتير القرآن الكريم وأحكامه الثابتة بفضل التوحيد، أن لاتحسبن ما سوى الله تعالى أعظم منك فترفعه إلى مرتبة العبادة، ولا تحسبن أنّك أعظم من شيء من الأشياء بحيث تتكبر عليه، إذ يتساوى ما سواه تعالى في البعد عن المعبودية وفي نسبة المخلوقية " 19.

ويستشف من التوحيد في جانبه المشار إليه، التأسيس للابتعاد أو على الأقل تطعيم الشبر من دائن فتاكين، يتلخّصان فيما يأتي :

- أن لا يذلل الموحد نفسه، وأن لا يتذلّل لغير الله سبحانه.

- أن لا يدعي لنفسه ربوبية أو يدعها لغير الله، إن من لا يعرف الله حق معرفته يتوهّم نوعاً من الربوبية لكل شيء، في كل شيء حسب نسبته فيسلّطه على نفسه " 20.

دوره التحريري : يشمل التوحيد في العقيدة الإسلامية من ناحية مضامينه المتعلقة بالإنسان عنصراً فاعلاً في التأسيس الموضوعي للحوار، إذ يؤصل للحرية 21 بتركيز أصولها في النفس البشرية نفسها (وحدة الخلق، وحدة طريقة التناسل، وحدة المصير، ...)، من منطلق ما سبق تقريره يعد التكبر

-بجميع صورته المعرفية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو ...- طارئاً على أصل خلقه الإنسان وكذلك الحال بالنسبة لقبول الاستضعاف والاحتقار، ذلك أن الله كرم الإنسان في أصل خلقته " ولقد كرمنا بني آدم "، وجعل قبول الاستخفاف جريمة لا تقل شناعة عن الاستكبار.

<sup>18</sup> . الشواهد من مثل : " إنّ الله هو الغني الحميد "، " أنتم الفقراء " من كان مستعينا فليستعن بالله ."

<sup>19</sup> . انظر اللمعات -بديع الزمان النورسي، ترجمة إحسان قاسم 175.

<sup>20</sup> . صيقل الإسلام -بديع الزمان النورسي، ترجمة إحسان قاسم 514.

<sup>21</sup> . انظر كتابنا ماهية الإنسان وصلتها بحريته ووظيفته الاجتماعية 54-55.

إن الإحساس بالتكريم الإلهي يمنع القوي من التكبر والاستخفاف بغيره، ويدفع الضعيف إلى الأخذ بحقه من القوي لإحساسه بالكرامة والعزة التي غرزت في أصل خلقته.

وبناء على ما سلف ساوى الإسلام في الكرامة البشرية والحقوق الإنسانية بين جميع الأجناس والألوان، وفي ذلك تأسيس للعزة النفسية في الإنسان بصفة عامة، فيدخل عملية الحوار دون دونية أو إحساس بها، كما يدخلها أيضا محررا من التكبر. قال تعالى " ولقد كرّمنا بني آدم " (الإسراء 70)، لأننا إذا نظرنا في الإسلام وجدناه الدين الذي يحترم الإنسانية 22، يفرض العدل فرضا تاما بين جميع الناس بلا أدنى تمييز، ويأمر بالعدل العام مع العدو والصديق، قال تعالى: " ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا " ويحرم الاعتداء تحريما عاما على البغيض والحبيب، ويأمر بالإحسان " إن الله يأمر بالعدل والإحسان "، " وقولوا للناس حسنا " 23.

المضامين الاجتماعية والتعميرية للفكرة: الهداية الإسلامية السارية في عالم الأفعال الاجتماعية كالروح الباعثة للحياة في الجسد، تخرج الحياة من دائرة العبثية إلى الغائية والمقصدية المندرجة في إطار نسق متكامل شامل لجميع مظاهر الحياة، إنها إن مكّنت (الهداية) من النفس أكسبت الفعل البشري إنسانية منظورة في جميع مشمولات الأفعال، يؤكد تلك المعاني ربط بعض علمائنا وعلى رأسهم العلامة عبد الحميد بن باديس العيش للإسلام بالعيش لإسعاد الإنسانية، فضلا عن المساهمة في سعادة بني دينه، فيذكر معقبا على أولئك الذين اعتبروا هذا الرأي (العيش للإسلام) ضيق أفق وتعصّب، متحججين بقولهم أنّ ليس الإسلام وحده دينا للبشرية، ولا الجزائر وحدها وطن الإنسان، فيقول الشيخ: " نعم إن خدمة الإنسانية... واحترامها... هو ما نقصده ونرمي إليه، نعمل على تربيتنا... ولكن هذه الدائرة الإنسانية الواسعة ليس من السهل التوصل إلى خدمتها مباشرة ونفعها دون واسطة، فوجب التفكير في الوسائل الموصلة إلى تحقيق هذه الخدمة ولإيصال هذا النفع... ثم يقول: " ونحن لما نظرنا في الإسلام وجدناه الدين الذي يحترم الإنسانية في جميع أجناسها فيقول: " ولقد كرّمنا بني آدم "، ويقرر التساوي والأخوة بين بني جميع تلك الأجناس، ويبين أنهم كانوا أجناسا للتمييز لا

22. آثار ابن باديس 4/110.

23. آثار ابن باديس 4/112.

## التعدد الديني والتعدد في الدينين الإسلام واللبرالية

للتفضيل وأن التفاضل بالأعمال الصالحة فقط، فيقول: " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ". لهذا انتهى الشيخ إلى أن العيش للإنسانية لا يتم إلا بالعيش للإسلام، يؤكد هذه الفكرة قوله: " ... إيصال النفع إليهما (الإنسانية) لا يكون إلا من طريقه فإذا عشت له فإني أعيش للإنسانية لخيرها وسعادتها، في جميع أجناسها وأوطانها ... فهذا معنى أعيش للإسلام 24.

كما يدعو إلى رحمة الضعيف بصرف النظر عن مظاهر ذلك الضعف أو نوعه، ونصر المظلوم، والأخذ على يد الظالم، وحرم الاستعباد والجبروت بجميع وجوهه، ليس هذا فحسب، بل يدعو إلى الإحسان العام، ويحرم الظلم بجميع وجوهه، وبأقل قليله من أي أحد على أي أحد من الناس. قال تعالى: " يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمكم شئتان قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب إلى التقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون " (المائدة 6).

واللفظ عام يشمل الظلم بجميع أصنافه، فلا يقصر كما هو شائع على النواحي الاجتماعية والسياسية فحسب بل يندرج تحته جميع مضامين الفعل الإنساني، ولعل من أهم مشمولاته الظلم المعرفي الذي كان وما يزال أهم أسباب تدمير جسور التواصل بين العقلاء على مر تاريخ الإنسانية، خذ مثلاً وصف أحد المحاورين للأخر بصفة ما ولتكن الاستبداد، ماذا تكون نتيجة هذا الموقف؟ سينجم عن ذلك على الأقل نوع من الإقصاء الاجتماعي للفكرة المنتقدة والمتلبس بها، وفي ذلك جريمة في حق المنتقد وفكرته، زيادة على الضرر المتسرب إلى المجتمع، بسبب إقصاء بعض أفراده (المنتقدين) من المجتمع.

ونظراً للمركز الذي تحتله المسألة الاجتماعية في البنية الفكرية للعقيدة الإسلامية يمكن تجنيد المخالفين في سلوكها، بما فيهم العلمانيون الصادقين في تبني العدالة الاجتماعية، المستضعفين

و... لأن المنطلق الاجتماعي من الدين يستطيع معه المخالف الصادق أن يسهم بقسط وافر في تحقيق المطلوب الاجتماعي.

<sup>24</sup>. انظر العلامة عبد الحميد ابن باديس-الآثار 4/109-113.

قول شريعتي : إن منطلقي من الدين من نوع يستطيع معه حتى مفكر علماني أن يأتي وينطلق معي منه والفرق بيني وبينه " 25.

يعد المظهر الاجتماعي، ميزة مهمة في الدين الإسلامي في أصل وضعه، لهذا يسهل على البشر على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية الانخراط في سلوكه والمساهمة الفاعلة في التمكين له، ذلك أنه يتبنى قضاياهم، قضايا المستضعفين على تنوع مشاربهم الثقافية والفكرية ومستوياتهم المعيشية.

ب- مسلك التأسيس للعقيدة : يقوم القرآن الكريم في التأسيس للعقيدة على العقل في أصل التوجه إلى الاقتناع، أما مباشرة الفعل وانتظار الثمرة فإنها من مشمولات القلب، لهذا كان أول ما يطالب به المؤمن الإقرار بالشهادة بعد النظر في الشواهد الموثقة بين يده في الأفق والأنفس، ثم ينتقل إلى التمثل القلبي لمطالب الشريعة، بوصف القلب سلطان الجسد، ويتجلى هذا المسعى فيما :

\*- البرهان أساس الاعتقاد : صرح بهذا منطوق كتاب ربنا سبحانه وتعالى، قال تعالى :  
" قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين "

- يطالبهم بإقامة الحجة على أقوالهم، ففي آية البقرة، " قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " (الآية 111)، أي أحضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم 26.  
- يلاحظ النسق نفسه في الآية (24) من سورة الأنبياء " أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون "

فأراد إظهار عجزهم وتبكيهم بالجاءم إلى إقامة البرهان على دعوهم الباطلة .... هاتوا برهانكم على ما تدعونه من جهة العقل والنقل فإنه لا صحة لقول لا دليل عليه في الأمور الدينية لا سيما في مثل هذا الشأن الخطير، وزيادة إلى ذلك، ففي هذا الخطاب زيادة تهييج لهم على إقامة البرهان 27، يحبب إليهم إقامة البرهان، للدلالة التطبيقية على بطلان ما يعتقدون.

<sup>25</sup>. العودة إلى الذات 34.

<sup>26</sup>. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، المعروف بتفسير أبي السعود 147/1.

<sup>27</sup>. انظر تفسير أبي السعود 62/6.

## التعدد الديني والتعدد في الدينين الإسلام واللبرالية

- ونرى المسلك نفسه في الآية 64 من سورة النمل " أمّن يبدأ الخلق ثمّ يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين "، يطالبهم ببرهان على ادعائهم، هاتوا برهاناً عقلياً أو نقلياً 28، يشهد لما ذهبتم إليه.

تؤكد مجموع السياقات السابقة أن البرهان أساس الإسلام، فيرفض كل كلام لا حجة له من دليل العقل أو النقل، مما يقرر بنفسه أنه أقام بناءه على الحجة، ولا شيء غيرها، ومن كان هذا شأنه، فقد أقام جسور مودّة معرفية بين الناس، فمن اختص بحجة فليقدمها من أجل خير الإنسانية، فهو ليس ديناً معزولاً عن المجتمع ومعارفه، بل ينتشر على مرأى من الناس ويتعهدهم لحججه نشرها وتمحيصها وتأسيسها وتأصيلها.

ب- التفتيش عن الرحاب المشترك: قال تعالى في سورة آل عمران الآية 63 " تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم " تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وهي أن لا نعبد إلا الله أي نوحده بالعبادة ونخلص فيها، ولا نشرك به شيئاً ولا نجعل غيره شريكاً له في استحقاق العبادة، ولا نراه أهلاً لأن يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، بأن نقول عزيز ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الأبحار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لأن كلا منهم بعضنا بشر مثلنا 29، والخطاب عام يشمل البشر في كل زمان ومكان، ذلك أننا جميعاً بشر، فلا يحق موضوعياً أن نجاوز تلك الكلمة السواء، فيستعلي بعضنا على بعض، ويؤكد الفكرة، ما سبق بيانه، فالإنسان محمي من أن يذل (بفتح الذال) أو يذل (بكسر الذال) بحكم عقيدة التوحيد المرسخة لتساوي البشر في أصل نسبتهم (لآدم وأدم من تراب) وطريقة تناسلهم (من ماء مهين) ومصير (إلى الله مرجعكم).

ج- الجدل بالتي هي أحسن: قال تعالى: " ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن " (العنكبوت 46)

ولا تجادلوا أهل الكتاب من اليهود والنصارى إلا بالتي هي أحسن أي بالخصلة التي هي أحسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشغبة بالنصح ... على وجه لا يدل على الضعف ولا يؤدي إلى إعطاء الدنيّة، إلا الذين ظلموا منهم بالإفراط في الاعتداء والعناد أو بإثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك، فإنه يجب حينئذ المدافعة بما

<sup>28</sup>. انظر تفسير أبي السعود 6/ 296.

<sup>29</sup>. تفسير أبي السعود 2/ 47.

يليق بحالهم وقولوا أمانا بالذي أنزل إلينا من القرآن وأنزل إليكم أي وبالذي أنزل إليكم من التوراة والإنجيل 30.

ثالثا : ميزات التعدد السنني في فهم الدين الإسلامي

يعد التدين المدخل الرئيس لأي محاولة فهم أو تواصل مع مجتمع المتدينين، لهذا من مصلحة (غ.د.و.ر) ومن سار في ركابه من أبناء جلدتنا أن ييسر المحافظة على التعدد السنني في فهم الدين الإسلامي، وهذا يفرض أن لا يتدخل (غ.د.و.ر) في إجهاض ولادة سننية لحركات الاستدراك (التجديد) على تجارب التدين، وخاصة تلك التي خرجت من رحم الأمة بعد أن اكتمل نضج التجربة وحن وقتها الحضاري والاجتماعي، ذلك أن للهوية الإيمانية وظائف متعدّدة، تخدم في مجملها وجود الإنسان من زوايا مختلفة، فهي المصدر الأساسي لنجاح محاولات تكييف التدين مع رغبة (غ.د.و.ر)، كما أنها تعد مرجع المتدينين في التكيف مع المعطى الثقافي أو الحضاري الذي يأتي به الغازي، وهي الملاذ في فحص أو تمحيص أي فكرة يراد تسويقها في بلدان المتدينين، وهي في الوقت ذاته القلعة الأساسية التي يتحصّن بها المتدينون عبر تاريخ الإنسانية ضد الغزو بمختلف أشكاله وأنماطه، ... من هذا المنطلق تعدّدت وظائف " الهوية الإيمانية"، منها دورها المحقق للتمييز المؤسس على المشترك الديني بين المسلمين المنتج لأنموذج الإنسان الذي تتطلبه الهوية الإيمانية من جهة، ودورها في التأسيس للتواصل مع المخالف من جهة أخرى.

رابعا : وظائف الهوية الإيمانية الإسلامية 31

إنّ الحاجة إلى الهوية الإيمانية لا تضعف ولا تفتقر في كل الأحوال وفي جميع الأماكن والأزمان-بما فيها زمن اللبرالية الحالية- ذلك أنّ الثقافة الإيمانية تمثل أصل مؤسسات صناعة واستنساخ أنموذج الإنسان الذي يراد تكوينه؛ فإلها يعود الموقف من الأفكار والإيديولوجيات ... من هنا يصبح سؤال الهوية الإيمانية مفروضا بإلحاح، وبالتالي لا يسقط الطلب عنه بصرف النظر عن موقفنا من اللبرالية في نسختها الجديدة.

يستشف مما سلف بيانه أن للهوية الإيمانية مجموعة من الوظائف نجملمها في نقطتين رئيسيتين، تندرج فيها سائر الوظائف الفرعية :

<sup>30</sup>. تفسير أبي السعود 42/7.

<sup>31</sup>. انظر بحثنا " سؤال الهوية الثقافية في زمن العلومة"، بحث ألقى في المؤتمر الدولي " العولمة وأثرها في الثقافة الإسلامية"، نظمه المجلس الإسلامي الأعلى التابع لرئاسة الجمهورية الجزائرية، بتاريخ 20-22/03/1425 هـ الموافق 10-12/05/2004 م.

## التعدد الديني والتعدد في الدينين الإسلام واللبرالية

المهمة الأولى : وظيفة صناعة التميّز

دور الهوية الإيمانية أساسي في تشكيل مجتمع المتدينين بمفهومه الحضاري الذي يشمل الملتزم وغير الملتزم من المنتمين إلى ذات الخط الإيماني، يسهم في تشكيلهم تربويا واجتماعيا وحضاريا، وتستعمل الأمة لتحقيق هذا المقصد وسائل متعدّدة تتكامل جميعها في تبليغ تلك المعاني والقيم، ولعلّ من أبين ما ترمي إليه :

1- مصدر القيم والعادات المشتركة ذات الحضور الفاعل في حياة المجتمع والأفراد : التأسيس للمشترك الثقافي المؤسس للقيم والعادات والتقاليد، وخاصة تلك التي تساهم في التفاعل الإيجابي مع عناصر الكون المادية والمعنوية، وعلى رأسها الدين في مصدره القرآن والسنة المطهّرة.

2- تكوين عناصر الدفع الداخلي : تميّز الهوية الإيمانية في تعزيز المنتسب إليها بقوة دفع داخلي تحثّه على العطاء المستمر خدمة للفكرة الدافعة نفسها، ولعلّ عزاءه الوحيد يرجع إليها، إنّ لتلك العناصر قيمة عظيمة في إغراء المتلبّسين بها -فعلا لا تصريحاً عارياً- بالبذل والعطاء غير المحدودين لصالح الفكرة نفسها، ليس هذا فحسب بل تدفعه إلى الموت دون تلك القيم والأفكار، فضلا عن المقاومة الفكرية لمناوئها.

3- التنشيط الفعلي للمنتسبين إليها : تنشّط همم المنتسبين إليها فعلا؛ فلا يتوقّف دورها عند تكوين قوّة الدفع فحسب، بل تتجاوزه إلى تنشيط الهمم من أجل الحفاظ على جذوة التضحية حيّة متّقدة، مما يدفع المرء إلى الاستزادة في التضحية.

المهمة الثانية : الوظيفة التواصلية

تعد الهوية الإيمانية عاملا رئيسا في التأسيس للتواصل مع المخالفين في الملة فضلا عن الموالمين فيها، لهذا من مصلحة الراغب في التواصل الإيجابي المؤسس للقاء الإنساني الحقيقي المساهمة في الحفاظ على التعدد السنني في فهم الدين والابتعاد عن توليد تعدد لا تقبله مجتمعات المتلقين فضلا عن مشاكستها لمنظومتهم الفكرية والقيمية، وترجع وظيفتها التواصلية إلى عوامل كثيرة نجملها فيما يأتي :

موقع الإنسان في تلك الهوية : للهوية الإيمانية دور عظيم في تشكيل موقع الإنسان -مطلق الإنسان- في المنظومة الفكرية والعقدية، وبالتالي لها مهمّة أساسية في التأسيس للموقف من الإنسان بوصفه إنسان، والذي في إطاره يتشكّل الموقف من المخالف والموالم على حدّ سواء.

وسيلة للتكيف مع معطى الآخر: تبيّن الهوية الإيمانية نفوس الملتزمين بها وبمقتضياتها فرصة للتكيف مع الوافد الثقافي الذي يتلاءم واجتهادهم في فهم الهوية أو تمثّلها، لهذا يلجأ إلى ترويض المناوئين بطريق الدرس الديني بالأساس، وقد حاول الغالب الوقي عبر تاريخ البشرية إلى الترويض الفكري بواسطة الثقافة الدينية المحلية وانطلاقاً من أصولها وأسسها<sup>32</sup>، طبعاً غني عن التأكيد أننا بصدد التشخيص لا بصدد التمحيص، وبالتالي ليس من وظيفتنا في هذا المقام عرض موقفنا أو نقدنا لتلك الجهود.

3- وسيلة تمحيص منتج الآخر في الثقافة والسياسة: إذا لم ترق الثقافة الوافدة أهل الثقافة الإيمانية؛ فلا شك أن مردّ ذلك الرفض أو الارتباب يرجع إلى عدم مواءمة الوافد الثقافي مع الهوية الإيمانية المؤسسة للتميز، من هنا كانت الهوية الإيمانية مرجعاً في تمحيص الثقافة الوافدة.

ستبقى الهوية الإيمانية في السياق الراهن (العصر اللبرالي في صورة العولمة) وفي كل الأوقات وفي جميع الحالات عاملاً رئيساً لا غنى عنه؛ فنحن بحاجة مستمرة دائمة ما بقيت الحياة إلى الهوية الإيمانية وامتداداتها الثقافية حتى حين الرغبة في تدمير المقاومة الفكرية المحلية لا مفر من الاستعانة بعناصر من الهوية الإيمانية نفسها، ليسهل تمرير مشروع الآخر في ثوب محلي، ليتسنى منع التجنيد الفكري للمناوئين للغالب الوقي، كما أنّ رفض هذا الرأي ومنع تسريته في المجتمع يفرض رجوعاً إلى الهوية الإيمانية، نسألها عن مواطن خطورة قبول الأفكار الوافدة وقيمتها العلمية والفكرية. يفرض التعامل مع بعض المواقف تكيفاً فكرياً مستنداً إلى الهوية الإيمانية، ومن بين الأفكار المستند إليها تهمين العناصر الإنسانية في الإسلام إضافة إلى نزعتة الاجتماعية التي تجعل من خدمة البشرية عبادة، وقد يستند المخالف في الملة ولا سيما (غ.د.و.ر) - إن أعيته الحجة السديدة والصحيحة- إلى إثبات الأمر بمختلف مزاوالات التكيف التي مارسها كثير من العلماء والمفكرين المحليين عبر تاريخنا الثقافي<sup>33</sup>.

<sup>32</sup>. لعلّ من أهم أساليب الترويض الفكري، التأصيل للأفكار الوافدة بالثقافة الأصلية، وقد ظهر بهذا الصدد مجموعة لا يستهان بها من المحاولات من قبل علماء محلّين زيادة إلى محاولات المستشرقين، منها على سبيل المثال لا الحصر: الاشتراكية الإسلامية، الحرية، حقوق الإنسان، الديمقراطية، قضية المرأة، الإرهاب، العنف، ....

<sup>33</sup>. يستند كثير من الباحثين المعاصرين لإثبات صحة فكرة على نماذج مختار بإحكام من تاريخنا الثقافي، وغني عن البيان ذكر نماذج منها في هذا السياق.

## التعدد الديني والتعدد في الدينين الإسلام والليبرالية

مستند التواصل الإنساني يرجع إلى الخلفية الفكرية المستمدّة من الهوية الإيمانية نفسها؛ وقد رام كثير من الباحثين إثبات ضرورة التواصل الإنساني الذي يرمي إليه موقف بعض المجموعة، من ذلك مثلاً قولهم بأنّ الإسلام يملك من المؤهلات ما ييسّر له التواصل الإنساني الإيجابي<sup>34</sup>.

يفرض سؤال الهوية الإيمانية نفسه في الآونة الأخيرة في ظل الخطورة الحاصلة للبرالية في صورة العولمة على الهوية الإيمانية أو التعدد الثقافي، وهذا يظهر أن سؤال الهوية في مركز الاهتمامات، ذلك أنّه يمثّل العمدة في دفع الأفكار الوافدة من جهة ويؤسس لجذوة بقاء فكرة المقاومة حية متّقدة.

السند الرئيس في معركة المصير الهوية الإيمانية، إنّها بمثابة قلعة الحماية، إنّها حائط صد الفكر الوافد غير الإنساني، وهي في ذات الوقت منصّة إطلاق الأفكار المحقّقة للتطعيم الفكري وما يفرضه من تجسيد للمقاومة الفكرية حين وجود دواعيها أو التكيّف إن وجدت شروطه ودواعيه الموضوعية.

ويؤكّد ذلك المسعى أنّ للهوية الثقافية أهمية عظيمة في التأسيس لتمحيص الفكر الوافد وزرع بذور المقاومة الفكرية فضلاً عن تعهدنا بالسقي والصيانة، بل حتى من رام تكييف المجتمع مع المعطيات التي يفرضها (غ.د.و.ر) يحتاج إلى الهوية الإيمانية بوصفها المدخل الأساسي-ولعلّه الوحيد- إلى قلوب وعقول أفراد الأمة.

تفرض مركزية الهوية في صناعة التميز وتفعيل التواصل فضلاً عن إثباته وتثبيته، العناية بالهوية الإيمانية، وخاصة في ظل جو ليبرالي يسعى جاهداً إلى إقصائنا من عالم صناعة مستقبلنا فضلاً عن مستقبل الأسرة الإنسانية، ولا يتوقّف على السلطة السياسية الرسمية فحسب، بل يتجاوزها إلى تحرير مساحات إضافية للهوية الإيمانية واكتداداتها الاجتماعية والثقافية يربط فيها ودونها أهل الخير من المتخصصين في العمل العلمي والثقافي والاجتماعي و... الجاد، مساحات تسهم في رفع الحرج عن السلطة السياسية -تجاه (غ.د.و.ر) أو من يقوم مقامه-، وتعرّف المجتمع بهويتهم الحقيقية، وهذا يفرض تشجيع العمل العلمي والثقافي والاجتماعي الجاد المؤسس للهوية الإيمانية المشتركة، تلك الهوية التي يحتاج إليها في كل الأحوال والظروف، نحتاجها حين التجنيد

<sup>34</sup>. تتجلى مؤهلاته في: الخلفية الفكرية والعقدية، مسلك تأسيس العقيدة، استيعاب الأنبياء، الإسلام مضاد حيوي ضد الإقصاء.

انظر كتابنا حوار الحضارات ومؤهلات الإسلام في التأسيس للتواصل الإنساني، دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان الأردن، الطبعة الأولى 2003 م، ص 121-181.

في الخير العام للأمة والإنسانية، كما نحتاجها في تكوين دافع تمحيص أفكار (غ.د.و.ر)، ولا تتوقف الحاجة عند هذا الحد بل تتجاوزها إلى الحاجة إليها حتى حال التكيّف مع الفكرة الوافدة التي لا تتناقض وموارثنا الثقافية، وهي الملاذ والركن الركين في تحويل المقاومة إلى مشروع اجتماعي حركي واقعي فضلا عن التأسيس للمقاومة الفكرية نفسها والحفاظ عليها في عقول قلوب الناشئة.

وبهذا نؤكد أن من مصلحة (غ.د.و.ر) تسهيل النمو السنني للتعهد في فهم الدين الإسلامي، وإن لم يكن بمقدوره تشجيع عمليات الاستدراك الحقيقية على تجارب الالتزام فعلى الأقل يتوقف عن التدخل في شؤون أمتنا وأساليب تعدها في فهم الدين الإسلامي، والمسلمون بهذه الحالة أقدر على التفاهم ومن ثم التواصل فيما بينهم ثم التواصل بعدها مع (غ.د.و.ر)، وحال كهذه تجعلهم أقدر على جمع التفاهم مع الموالم والمخالف، أما إذا تفتت مؤسساتهم المؤسسة للتمايز في إطار التعدد (المذاهب) في فهم الدين، فإن عقدهم سينفرط وبانفراطه تشيع الفوضى، ويكاد ينتهي التواصل معهم إلى باب مسدود؛ فالحاجة إلى الهوية الإيمانية ماسة في جميع الأحوال ومهما كانت المواقف والظروف، وهذا يؤكد وجوب السعي المستمر من قبل الجميع إلى تعهد الهوية الإيمانية للأمة بالعناية والتمكين في المجتمع.

#### الخاتمة

يظهر جليا أن استناد اللبرالية وفق نسخة (غ.د.و.ر) على الحرية لتبرير صناعة تعدد جديد في فهم الدين الإسلامي من جهة ومنع ولادة الاستدراك (التجديد) الحقيقي على التجارب السابقة للتدين بالإسلام، لا يمكن أن يستند إليه في التأسيس للتواصل مع المخالفين للعرض اللبرالي الجديد، كما لا يمكن أن يستند إليه في تكييف المجتمعات الإسلامية مع أطروحة (غ.د.و.ر)، ولا يسعف أيضا اللبراليين المحليين في محاولات التكيّف مع تلك الأطروحة، زيادة إلى عجزه عن مساعدة قيادات هذه المجتمعات على تكييف بعض ما جاء في الأطروحة الأنفة الذكر مع ثقافة الأمة -في تعدها-.

إنّ الهوية الإيمانية بامتداداتها الثقافية والاجتماعية هي آخر القلاع التي يتحصّن بها المجتمع ضد الغزو، ومحاولات التكييف القصري المؤسس للتعهد وفق الأنموذج اللبرالي لا يزيد المجتمعات إلا تشبثا بتدينهم وفق ما ورثوه عن الأسلاف وراجع الخلف واستدرك فيه لاحق على سابق.

وبهذا يفشل مشروع الجبر على التعدد التديني المصنوع لأنه وُلد بطريقة غير موضوعية من جهة، ويجعل مشروع التعدد التديني المربوط بإطار وشروط موضوعية تحت رحمة

## التعدد الديني والتعدد في الدينين الإسلام والليبرالية

الليبرالية ووسائلها المغربية من مال وسلطة من جهة أخرى، بل قد يفضي إلى سلب التدين من أهله وإسلامه إلى شركات مالية بأسماء وهمية وعناوين علمية واقتصادية واجتماعية. مقصدها الرئيس اختطاف التعدد في فهم الدين الإسلامي من أهله وتسليم أمره إلى من هم أطوع في أيدي (غ.د.و.ر) يؤسسون لمؤسسات " علمية " و " بحثية " (ضرار) تبعث المذاهب الميتة من مرقدها أو تؤسس لمذاهب جديدة تمثل مؤسسات ضرارا للتعدد السنني (الموضوعي) في فهم الدين الإسلامي، وأقل خطرهما التشويش على المتدينين والسعي إلى استنساخ أنموذج التبعية في التفكير، وإن أعياهم تحقيق المقصود حققوا التشويش على الأقل.

استند هذا المسلك إلى التعدد الديني وفق الصورة التي أرادها(غ.د.و.ر) بناء على التعدد المؤسس على تعدد الحقيقة الدينية أو الأخلاقية، وفي ذلك أبرز معين للبرالية. لتيسير جعل سلطان القول المعرفي في الدين بين أيدي أصحاب المال وسلب أهل الدين القول الفصل في دينهم، فلا منكر في حال التعدد الفوضوي (التعدد الخلاق)، وإذا غُيِّب الاستدراك، فما أنموذج التدين الذي يمكن أن يجند به الأتباع في الخير الإنساني الخاص فضلا عن الخير الإنساني العام، إن أطروحة التعدد وفق أنموذج الليبرالية الذي يقوده (غ.د.و.ر) لا يمثل فرصة للتواصل، بل يعد طريقة مثلى لاستصلاح التربة لزراعة العنف والقطيعة بين أفراد الأسرة الإنسانية، وعض أن تكون الأجواء مهيأة للتواصل ستكون فرصة مثلى للصدام، فالرؤية الليبرالية تقوم أساسا على فرض الحرية حتى في أخص الخصوصيات ومن لم يقبل الحرية في هذا المجال أجبر عليها، ليقبل ما شأنه أن يكون سببا في تفجير المجتمع، ومن ثم إشاعة الفوضى، وتعود الكلمة الأخيرة في جو الفوضى إلى (غ.د.و.ر)، فهو صاحب فلسفة القول النهائي في تعدد الدين والتدين قبولاً ورفضاً، وهو ما يرمي إلى تيسير قبوله ثم تحقيقه في قابل الأيام.

تقود هذه الأطروحة رغبات تقودها شهوات و " برهنت " على صدقها عقول خادمة وفكر تبريري بعنوان الفلسفة حيناً والفكر الحرحينا آخر، لهذا يحق أن نقول إنها شهوات تعضدها عقول وتحرسها القوة بمختلف أشكالها (العسكرية والمالية و...)، وهذا منذ بزوال مُلكيها ونهاية عرشها ولو بعد حين، يقول أفلاطون " إذا أقيمت (سارت) في مسلك التقدم) المملكة (الدولة) خدمت الشهوات العقول، وإذا أدبرت (تخلفت وأزفت أيامها على النهاية)، خدمت العقول الشهوات، لأنه لا حامل على الترف إلا حب الشهوات "

35، وتلك هي مسالك الأفكار المؤسسة للوحشية بعنوان اللبرالية، يقول ابن الأزرق: " إن الأمم الوحشية اقدر على التغلب ... وهي أقوى على انتزاع ما بأيدي الناس " 36، ولكنها عاجزة عن تحقيق حيم لها وتواصلهم معها أو تواصلها معهم، لأن جو القهر عقيم لا ييسر ولادة التواصل والتعاون بل يستأصلهما، وفي ذلك وردت الحكمة اليونانية:

" المحبة لا تنقاد إلا للعدل؛ فغلب العدل على رعيتك تظفر منهم بالمحبة الباقية لك " 37.

<sup>35</sup>. بدائع الببسلك في طبائع الملك -لأبي عبد الله ابن الأزرق- السياسة والإدارة، بيت الحكمة بغداد، 2000.

ترتيب وتصنيف محمد جاسم الحديثي ص 34.

<sup>36</sup>. المرجع نفسه ص 49.

<sup>37</sup>. ابن الأزرق المرجع نفسه 52.



